بيان الترهيب من المهلكات

الباحث / عماد محمد محيي شعبان طعيمة

لدرجة الماجستير بقسم اللغة العربية كلية الاداب – جامعة المنوفية

بيان الترهيب من المهلكات

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان الترهيب من عجائب القلب.

المطلب الثاني: بيان الترهيب من بيان الترهيب من عدم ترويض النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب.

المطلب الثالث: بيان الترهيب من إطلاق عنان الشهوتين.

المطلب الرابع: بيان الترهيب من آفات اللسان.

المطلب الخامس: بيان الترهيب من الغضب والحقد والحسد.

المطلب السادس: بيان الترهيب من الدنيا.

المطلب السابع: بيان الترهيب من البخل وحب المال.

المطلب الثامن: بيان الترهيب من طلب الجاه وحب الرياء.

المطلب التاسع: بيان الترهيب من الكبر والعجب.

المطلب العاشر: بيان الترهيب من الغرور.

تمهيد

حينما رفض الشيطان السجود لآدم ρ طرد الله Y الشيطان من الجنة؛ لعدم امتثاله أمر السجود الذي أمره الله I به. حينها حسد الشيطان آدم وذريته، وترصد لهم كل مرصد، فكانت المهلكات هي المفاتيح المتاحة أمام الشيطان لغواية البشر.

من هنا وجب الحذر من المهلكات، والترهيب منها؛ حتى لا يتملك الشيطان من هلاك العبد.

وقد استبان الترهيب عند الإمام الغزالي رحمه الله من خلال الأدلة النقلية والعقلية.

وسيتضح الترهيب في هذا المبحث من خلال العناوين التي استخدمها الإمام الغزالي رحمه الله، ومن ثم استنباط الفكر الدعوي منها؛ حتى تتنوع فكرة الترهيب.

المطلب الأول
بيان الترهيب من عجائب القلب

من تفكر في الأمور أمن العواقب، ومن حكم عقله تجنب المهالك. وقد استخدم الإمام الغزالي رحمه الله الترهيب والتحذير من عجائب القلب؛ حتى لا ينجذب العبد إليها فتُرديِ به في الهاوية دون توقع. وسيظهر الترهيب من عجائب القلب، والاستفادة الدعوية منه في الأمور الآتية:

الأمر الأول: إظهار شغل الشيطان على القلب:

تعمَّد الإمام رحمه الله في الترهيب من عجائب القلب بيانَ سلطان الشيطان على قلب العبد؛ إذا لم يحذر العبد من الوقوع في شباك الشيطان والهوى. ظهر هذا الترهيب تحت العناوين الآتية:

أ - بيان تسليط الشيطان على القلب:

بيَّن الإمام رحمه الله تسليط الشيطان على قلب العبد، ومدى خطورته على الخواطر، فقال رحمه الله:

(والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر؛ أعني إلى ما يضر في العاقبة، وإلى ما يدعو إلى ما ينفع في الدار الآخرة. فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين؛ فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً، والخاطر المذموم أعنى الداعي إلى الشر يسمى وسواساً.)[1]

ولا شك بأن الشيطان يلعب على وتر الخاطر المذموم، فيوسوس للعبد عند كل همّ، والسبب الأوحد في كل ذلك هو البعد عن ذكر الله Y.

(فإن العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان، وانبسط عليه، وبذر فيه أنواع الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها، فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به؛

---

(1) إحياء علوم الدين(42/3).

انخنس وانقبض كما ينخنس الشيء يتوارى، وذلك الانخناس والانقباض هو- أيضا- تجمع ورجوع، وتأخر عن القلب إلى خارج، فهو تأخر ورجوع معه اختفاء.)[1]

فبغير الذكر تتملك وسوسة الشيطان القلب، ويتحقق تسلطه على العبد. ومن ثم يقع العبد في البلايا، ولا يستطيع السيطرة على نفسه، ويهلكه الشيطان. وهذه بعض عجائب القلب التي يجب على العبد أن يحصن نفسه لها بذكر الله Y.

ب - بيان تفصيل مداخل الشيطان:

لقد ذكر الإمام الغزالي رحمه الله بعض مداخل الشيطان إلى قلب العبد، منها الغضب والشهوة، والحسد والحرص، والطمع في الناس، والدراهم والدنانير، والعجلة، وترك التثبت في الأمور، والبخل، وخوف الفقر، والحرص على ملازمة الأسواق، وحب التزين في الأثاث والثياب، والتعصب للمذاهب، وسوء الظن بالمسلمين، والإسراف في إضاعة الأموال والشهوات.

ووافق الإمامَ رحمه الله على ذلك صاحبُ **"موسوعة فقه القلوب"** حيث قال:

(فالقلب كالحصن، والشيطان عدو يريد أن يقتحم الحصن ويدخله؛ فيملكه، ويستولي عليه. ولا يقدر الإنسان على حفظ الحصن من العدو؛ إلا بحراسة أبواب الحصن، ومداخله، ومواضع ثلمة.)[2]

وبعدما استفاض الإمام الغزالي رحمه الله في بيان تلك المداخل، والتحذير منها؛ أخبر أن هناك غيرها الكثير والكثير، مما يجعل العبد على حذر وحيطة من غفلته؛ كي لايتمكن الشيطان من اقتحام تلك الحصون، فقال الإمام رحمه الله:

(فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب، ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه، وفي هذا القدر ما ينبه على غيره. فليس في الآدمي صفة مذمومة؛ إلا وهي سلاح

---

(1) بدائع الفوائد، لابن القيم،تحقيق: على بن محمد العمران، ص791، طبعة مجمع الفقه الإسلامي، دار عالم الفوائد.
(2) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ص1359، ط دار الأفكار الدوليه، 2006م.

الشيطان ومدخل من مداخله.)[1]

ومن المعلوم أن الشيطان يترصد جميع المداخل؛ حتى يوقع العبدَ في الهلكة، فوجب حماية الحصون والمداخل بكثرة الذكر.

الأمر الثاني: أثر وساوس القلوب ومؤاخذة العبد بها:

بين الإمام رحمه الله أثر الوسواس على النفس، والحال التي يؤاخَذ به العبد تحت عنوان: بيان مايؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها.

شاء الله تعالى برحمته ألا يؤاخذ العبد بكل حال من أحوال قلبه، فأحوال القلب قبل العمل بالجارحة أربعة كما بينها الإمام رحمه الله حيث قال:

(فههنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة: الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الاعتقاد، ثم الهم.)[2]

ثم بين الإمام رحمه الله مفهوم الخاطر، والميل، والاعتقاد، وأن الأصل في كل هذا هو العفو من الله Y؛ إلا إن الهم له خطر جعل العبد يؤاخذ به.

جاء في كتاب **"أين الخاشعون في الصلاة"** عن الوسوسة :

(فإن قيل: الوساوس وحديث النفس غير اختيارية؛ فكيف يتعلق بها الحكم؟ قلنا: وقوعها في القلب غير اختياري، ولكن إبقاء سلستها وقطعها اختياري. وكذلك اشتغاله في الصلاة وإقباله إليها اختياري. وهو يمنع وقوعها وحدوثها.)[3]

فالعبد هو من يتسبب في وساوس الشيطان، وذلك بكثرة الميل، وعدم صرف تلك الوساوس عن نفسه بقطع طريقها بالذكر، فالحالة التي يؤاخذ بها العبد؛ هي حالة الهم، فقال الإمام رحمه الله:

---

(1) إحياء علوم الدين(56/3).

(2) إحياء علوم الدين(64/3).

(3) أين الخاشعون في الصلاة، لأبي طلحه محمد يونس بن عبد الستار، ص179، 1410هـ - 1990م.

(وأما الرابع وهو الهم بالفعل: فإنه مؤاخذ به؛ إلا أنه إن لم يفعل نظر؛ فإن كان قد تركه خوفاً من الله تعالى وندما على همه؛ كتبت له حسنة؛ لأن همه سيئة، وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة. والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة.)[1]

فالهم بالفعل: هو أمر ناتج عن اختيار كامل من العبد. فإن امتنع العبد من القيام بالفعل خوفا من الله Ψ؛ أجر على الترك. وإن قدم أُزر على الهم.

(فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به.)[2]

فمن رحمة الله I أن جعل العبد مختاراً لا مجبراً فيما يتعلق بأمر حسناته وسيئاته، فتحقق ترهيب الإمام رحمه الله من عجائب القلب بضرورة أخذ الحيطة والحذر من خلال: بيان تفصيل مداخل الشيطان، وبيان أثر وساوس القلوب ومؤاخذة العبد بها.

الأمر الثالث: الفكر الدعوي عند الغزالي في الترهيب من عجائب القلب:

أظهر الإمام الغزالي رحمه الله للدعاة فكرًا دعويًّا جديدًا يُطبق على الدعاة أولاً؛ ثم على المدعوين، وهو: الانتباه إلى مدى دقة، وخفاء أعمال الشيطان ووساوسه على القلب.. مما يوحي إلى ضرورة توخي الحذر من فتنة الشيطان، والتنبه إلى سرعة استدراجه العبد من أبعد الطرق توقعاً، فلا يأمن العواقب إلا من تفكر في الأمور بروية.

---

(1) إحياء علوم الدين(65/3).

(2) إحياء علوم الدين(66/3).

المطلب الثاني

بيان الترهيب من عدم ترويض النفس، وتهذيب الأخلاق، ومعالجة أمراض القلب

رهَّب الإمام الغزالي رحمه الله ترهيباً عظيماً من عدم ترويض النفس، وتهذيب الأخلاق، ومعالجة أمراض القلب، من خلال كثير من العناوين تحت هذا الباب. فللإيضاح والاستفادة لابد من أمرين:

الأمر الأول: مذمة سوء الخلق:

يكفي من الترهيب ما استدل به الإمام رحمه الله، تحت عنوان: مذمة سوء الخلق. فمن آثار السلف رحمهم الله في هذا الجانب يقول الإمام رحمه الله:

(قال وهب بن منبه: مثل السيئ الخلق كمثل الفخارة المكسورة؛ لا ترقع، ولا تعاد طيناً. وقال الفضيل: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق؛ أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق. وصحب ابن المبارك رجلاً سيء الخلق في سفر، فكان يحتمل منه ويداريه، فلما فارقه بكى، فقيل له في ذلك: فقال: بكيته رحمة له، فارقته، وخلقه معه لم يفارقه.)[1]

فالمتأمل فيها؛ يجد كيف نفَّر السلف رحمهم الله من هذا الداء العضال، الذي حذر منه الكثير من العلماء في كتبهم. فقد جاء في كتاب"**مساويء الأخلاق ومذمومها**": (الأخلاق السيئة؛ التي تعصف بالأمم والأفراد، وتسري بهم مسرى الداء العضال،

وتذهب بالمقومات وبالأخلاق الفاضلة، وتهدر بالكيان، ويكون المآل إلى الوبال والدمار... فسوء الخلق ضياع ودمار، فإذا نمت الرذائل في النفس، وتفاقم أمرها؛ انسلخ صاحبها من الدين، وأصبح مفلسا في دنياه وآخرته.)[2]

---

(1) إحياء علوم الدين(81/3).

(2) مساويء الأخلاق ومذمومها، لأبي بكر جعفر بن محمد الخرائطي (ت: 327هـ)، تحقيق: مصطفي ابن أبوالنصر الشلبي، ص7، مكتبة السوادي للتوزيع، ط1، 1412هـ - 1992م.

ومما لا شك فيه؛ أن سيء الخلق لا يمسك نفسه عن مضرة الخلق. ألا وإن الغضب لَمِنْ أقبح شرارت سوء الخلق؛ فهو الذي لايبقي شيئاً إلا دمره، ولا رحماً إلا قطعه، ولا وصالاً بين الناس إلا مزقه.

قال الإمام الغزالي رحمه الله عن الغضب:

(والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة، ومثاله: مثال كلب الصيد، فإنه يحتاج إلى أن يؤدب؛ حتى يكون استرساله، وتوقفه بحسب الإشارة، لا بحسب هيجان شهوة النفس.)[1]

فإذا لم يتحكم العبد في غضبه؛ قاده غضبه إلى الهاوية. كما مثل الإمامُ رحمه الله الغضب بكلب الصيد؛ لما تحتاجه كلاب الصيد من تعاهد باستمرار، وتدريب من صاحبها على الدوام. فإذا لم يفعل صاحبها ذلك؛ أفلتها من بين يديه فقامت بكثير من الخسائر التي لم يستطع صاحبها تحملها؛ كذلك الغضب يحتاج إلى ترويض للنفس، وتهذيب للأخلاق، ومعالجة لأمراض القلب.

الأمر الثاني: الفكر الدعوي عند الغزالي في الترهيب من عدم ترويض النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب:

قدَّم الإمامُ الغزالي رحمه الله للدعاة فكراً جديدًا، يوحي بضرورة الترهيب لبعض أصناف الجماهير من المهلكات؛ ليقلعوا عنها. وعلى الداعي أن يدعم هذا الترهيب بالقصص المؤثرة؛

ليتحقق المقصود منها، كما بين الإمام رحمه الله ذلك. فلوقوع القصة من النفس مكانها، ولا أدل على ذلك من منهج القرآن الكريم في استخدام قصص هلاك الأقوام في الترهيب من بعض الأفعال. فالقصة أبلغ في العظة، وأدق في الاعتبار.

---

(1) إحياء علوم الدين(84/3).

المطلب الثالث

بيان الترهيب من إطلاق عنان الشهوتين

إن من زواجر العبد عن الإقدام على مافيه ضرر له؛ استحضار الآفات التي تترتب على القيام بالمهلكات. ولقد عمل الإمام الغزالي رحمه الله على هذا الوتر حينما سطر في آفات الشبع. وسيتضح المراد، والمستفاد من الترهيب في الأمور الآتية:

الأمر الأول: بيان خطورة الشبع:

رهَّب الإمامُ الغزالي رحمه الله من الشبع؛ لما لذلك من آثار سلبية تعود على العبد من مخاطر على صحته وعلى دينه، ولما في ذلك من سهولة في تملك الشيطان للعبد.

ظهر هذا الترهيب تحت عنوان: بيان فوائد الجوع، وآفات الشبع. حيث قال الإمام رحمه الله:

(والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات، ومنبت الأدواء والآفات؛ إذ يتبعها شهوة الفرج، وشدة الشبق إلى المنكوحات؛ ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال، اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات؛ ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات، وضروب المنافسات والمحاسدات؛ ثم يتولد بينهما آفة الرياء، وغائلة التفاخر، والتكاثر، والكبرياء؛ ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء. وكل ذلك؛ ثمرة إهمال المعدة، وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء.)[1]

وكأن الإمام رحمه الله قد أراد أن يوصل رسالة ملخصها: إن الشبع رأس كل بلية، فبسببه يُستدرج العبد إلى المهالك؛ رغبة في المال والجاه، ومنافسة في الحقد والحسد، والتفاخر، والكبر، والعمل رئاء الناس. على النقيض تماما من الجوع، فهو من أسباب الذلة والانكسار، التي تورث التواضع، ومن ثم تُدخل الجنة. ----------

(1) إحياء علوم الدين(125/3).

ولقد تحقق هذا المعنى في كتاب **"الجوع "** لابن أبي الدنيا رحمه الله حينما قال:

(فالبطن والفرج، باب من أبواب النار، وأصله الشبع، والذل والانكسار، باب من أبواب الجنة، وأصله الجوع. ومن أغلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة بالضرورة.)[1]

فالعبد إذا اعتاد الشبع؛ تعلق بحلقة باب من أبواب النار؛ وذلك لخطورة توابع الشبع، وإذا اعتاد الجوع؛ تعلق بحلقة باب من أبواب الجنة أيضا؛ وذلك لجميل توابع الجوع.

الأمر الثاني: الفكر الدعوي عند الغزالي في بيان الترهيب من إطلاق عنان الشهوتين:

قدَّم الإمام الغزالي رحمه الله فكرا دعويًّا جديدا للدعاة، يقوم على أساس الترهيب من الشيء، وإظهار فضائل أضداه، فيكون دور الداعي إبراز آفات المهلكات، وخطورة انعكاسها على النفس، فيتحقق بذلك ردع المدعو عن القيام بالمهلكات، ثم يفتح الداعي لنفسه باب الاجتهاد في بيان فوائد المنجيات وإبراز وجوه الخير منها؛ لتكون بدائل للمهلكات.

---

(1) كتاب الجوع لابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان، ص6، ط2، دار ابن حزم، 1421هـ - 2000م.

المطلب الرابع
بيان الترهيب من آفات اللسان

من صان لسانه صانه، ومن هان لسانه هانه، ولا خير في لسان يهين صاحبه، أو عبد لا يصون لسانه. فبذاءة اللسان مهلكة للعبد. وقد رهب الشرع من إطلاق اللسان في أكثر من موضع، ولم يترك الإمام رحمه الله الترهيب من آفات اللسان. فللبيان والتوضيح، والاستفادة الدعوية؛ لا بد من الأمور الآتية:

الأمر الأول: المقارنة بين الصمت وإطلاق اللسان:

رهَّب الإمام الغزالي رحمه الله من خطر اللسان، وعظيم جرمه، بالمقارنة بين فضيلة الصمت، ونقيصة إطلاق اللسان. وقد ظهر الترهيب من آفات اللسان، بذكر تلك المقارنة تحت عنوان: بيان عظيم خطر اللسان، وفضيلة الصمت.

فأظهر الإمام رحمه الله تزيين الكلام وحلاوته في القلب، وموافقته للشهوة من قبل الشيطان، وثقلَ الصمت على القلب، وبغض الشيطان له؛ لما في الصمت من السلامة، وتضييق مجاري الشيطان، وتهذيب للنفس؛ حتى لاتتدخل فيما لا يعنيها.

ظهر هذا المعنى الترهيبي لدى الإمام الغزالي رحمه الله؛ حينما عدد آفات اللسان مبيناً خطرها، مقابلة بالصمت فقال رحمه الله:

(آفات كثيرة، وهي سياقة إلى اللسان، لا تثقل عليه، ولها حلاوة في القلب، وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان. والخائض فيها؛ قلما يقدر أن يمسك اللسان، فيطلقه بما يحب، ويكفه عما لا يحب. فإن ذلك من غوامض العلم ... ففي الخوض خطر، وفي الصمت سلامة، فلذلك عظمت فضيلته. هذا مع ما فيه من جمع الهم، ودوام الوقار، والفراغ للفكر والذكر والعبادة، والسلامة من تبعات القول في الدنيا، ومن حسابه في الآخرة.)[1]

---

(1) إحياء علوم الدين(173/3).

ظهر من خلال تلك المقارنة، أن العبد ينخدع باللسان وحلاوته، فيوقعه اللسان في خطر المعاصي والآثام؛ لذا يجب على العبد أن يتنبه إلى خطر اللسان، فيدفع جرمه بطول الصمت؛ ليحفظ اللسان، ويقي الخلق من عدائه. ومن ثم يُضيق على الشيطان فرص الغواية.

ولكي لا يُستهان بتوابع اللسان؛ لا بد من العلم بأنه: يتسبب في سعادة العبد، أو شقائه، ويؤيد ذلك ما جاء في **"حسن السمت في الصمت"**:

(واعلم بأن باللسان قد تكفر، وباللسان قد تؤمن، فاحترز من اللسان، واعلم أن أول فريسة يفترسها اللسان صاحبه، فلا تكن في غفلة عن هذا، وضع خطر لسانك نصب عينيك، واحذر أن تكون قتيل لسانك، فقتيل اللسان ليس شهيداً.)[1]

أي: إن العبد مرهون بحصاد لسانه، إن تفوه بالخير؛ سلم وعوفي في الدنيا والآخرة، وإن ثرثر بالشر؛ هلك وعودي في الدنيا وخسر في الآخرة.

الأمر الثاني: الفكر الدعوي عند الغزالي في بيان الترهيب من آفات اللسان:

قدَّم الإمام الغزالي رحمه الله فكراً للدعاة لا بد من استخدامه مع المدعو؛ حتى يثمر ترهيباً من المهلكة، وهو فكر المقارنة كالذي وضعه الإمام الغزالي رحمه الله؛ لإظهار فوارق خطر اللسان مقارنة بفضائل الصمت، وهو ما يوصف لدى مخيلة المدعو بأسلوب التشكيك والتفضيل. وهو فكرٌ لا بأس باستخدامه مع جميع أصناف المدعوين؛ لأنه يتناسب معهم باختلاف طبقاتهم وأفكارهم؛ أي: إنه فكر عام يُستخدم في الدعوة، فيُثمر خيراً، ويُنمي خيراً.

---

(1) حسن السمت في الصمت، للسيوطي(ت:911هـ)، اختصار ابن أبي الدنيا(ت:281هـ)، تحقيق: أحمد محمد سليمان، ص8، ط1، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2009م.

المطلب الخامس

بيان الترهيب من الغضب والحقد والحسد

حذَّر الإمام الغزالي رحمه الله تحذيراً شديداً من أن يتملك الغضبُ العبدَ؛ لما للغضب من نتائج سلبية، وعواقب غير محمودة. وقد ظهر هذا التحذير بلهجة حامية من خلال ما استند إليه الإمام رحمه الله من الأدلة النقلية والعقلية. وقد ظهرت تلك اللهجة من خلال عدة عناوين.

لبيانها والاستفادة الدعوية منها؛ لا بد من الأمور الآتية:

الأمر الأول: الاستدلال على خطورة الغضب والحقد والحسد:

رهَّب الإمام رحمه الله من الغضب، والحقد، والحسد بكثير من الأدلة النقلية والعقلية.. ظهر الترهيب من الصفات الثلاثة تحت العناوين الآتية:

الأول: بيان ذم الغضب:

عمل الإمام رحمه الله تحت هذا العنوان على إبراز الأدلة الشواهد القرآنية، والأخبار النبوية، وآثار السلف رحمهم الله التي تظهر خطورة الغضب، وكان من الشواهد القرآنية التي استدل بها الإمام رحمه الله قولُ الله Ψ:

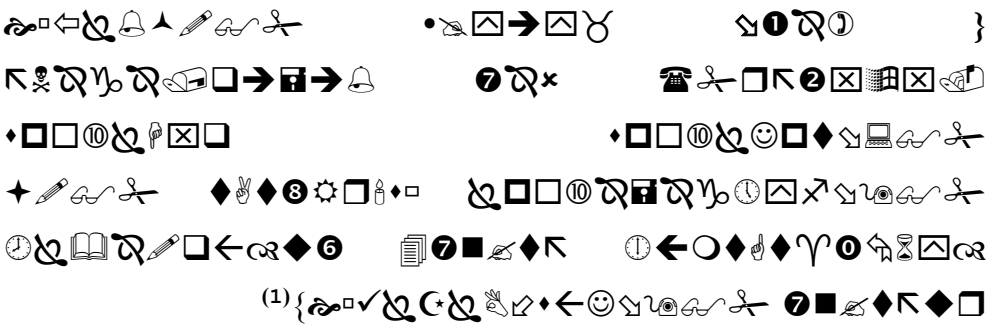

وصف اللهُ I الغضبَ بأشنع وصف، حينما نسبه إلى فعل الكفار، وجعل الإصرار عليه من صفات الجاهلية، ونفاها عن الموحدين، وذلك أن (حميت قريش أن يدخل عليهم محمد - ρ - وقالوا: لا يدخلها علينا أبداً، فوضع الله الحمية عن محمد وأصحابه.)[2] فجعل اللهُ الغضبَ

مذمة، ورهَّب من أن يتصف المؤمن بها، ورغب الشرع في دوام التخلى عنها، واستبدالها بالحلم في أكثر من موضع؛ وذلك لأن الغضب من الرذائل الممقوتة.

---

(1) سورة الفتح، الآية: 26.

(2) تفسير ابن جريج، على حسن عبد الغني، ص315، ط1، مكتبة التراث الإسلامي، 1413هـ - 1992م.

ثانياً: الأخبار النبوية:

استدل الإمام رحمه الله بالكثير من الأخبار النبوية التي تحذر من الغضب، ومن بين تلك الأخبار ماجاء عن أبي هريرة τ أن رسول الله ﷺ قال: " ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[1]

حذَّر النبي ρ من الغضب أشدَّ تحذير؛ لأن الغضب رأس كثير من البلايا، وهو من أبرز خطى الشيطان التي يهدم بها حياة العبد. ولذلك جاء في **" فتح الباري"** في معنى قول النبي ρ **"لاتغضب"**:

(قيل: معناه لاتغضب؛ لأن أعظم ما ينشأ عنه الغضب الكبرُ؛ لكونه يقع عند مخالفة أمر يريده؛ فيحمله الكبر على الغضب.)[2]

رهَّب النبي ρ من الغضب؛ لما له من أثر بالغ على العبد، فبالغضب يفقد العبد السيطرة على نفسه، فلا يستفيق إلا وقد عمته عواقب غضبه.

ثالثا: آثار السلف رحمهم الله:

تعددت الآثار التي ترهب من الغضب وعواقبه، فذكر الإمام الغزالي رحمه الله جانباً منها، وإن من تلك الآثار الآتي:

(قال الحسن: يا ابن آدم كلما غضبت؛ وثبت. ويوشك أن تثب وثبة فتقع في النار. وعن ذي القرنين: أنه لقي ملكاً من الملائكة، فقال: علمني علماً أزداد به إيماناً ويقيناً، قال: لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فرد الغضب بالكظم، وسكنه بالتؤدة. وإياك والعجلة، فإنك إذا عجلت؛ أخطأت حظك، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً.)[3]

فما أجملها من وصايا يعمل بها الفطن، وتُردع الغاضب عن غضبه الذي يوقعه في غيابات الهلاك. والآثار في الترهيب من الغضب كثيرة عند الإمام الغزالي رحمه الله وغيره، لا حصر لها.

---

(1) رواه البخاري، ك: الأدب، باب: الحذر من الغضب، ص1526، رقم 6114.

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر(ت:852هـ) ك: الأدب، باب: الحذر من الغضب، ص511، رقم:6116.

(3) إحياء علوم الدين(3/ 257).

الثاني: القول في معنى الحقد:

أبان الإمام الغزالي رحمه الله تحت هذا العنوان ثمار الحقد الثمانية، وأكد بضرورة الحذرمنها، وتجنب كل سبل الحقد من خلالها، فقال الإمام رحمه الله:

(وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة، ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به، ولكن تستثقله في الباطن، ولا تنهي قلبك عن بغضه؛ حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة، والرفق، والعناية، والقيام بحاجاته، والمجالسة معه على ذكر الله تعالى، والمعاونة على المنفعة له، أو بترك الدعاء له، والثناء عليه، أو التحريض على بره ومواساته.)[1]

وقد ظهر الحقد على مر العصور والأزمنة، وخاصة في صدر الإسلام؛ حينما حقد اليهود والمنافقون، وأبرزوا العداوة للإسلام والمسلمين. فقد جاء في**" الهادي والمهتدي "**:

(وخداع المنافقين لله وللمؤمنين؛ إظهارهم بألسنتهم من القول والتصديق خلاف الذي في قلوبهم من الشك والتكذيب؛ ليتقي بذلك ما يخاف من المؤمنين. فقلوبهم مريضة بما أبطنوا من الكفر، ويرون ما يقومون به من فساد إصلاحاً، وهم قليلوا الذكر لله تعالى، ومن قلة ذلك، عدم شهود صلاة العشاء والفجر.)[2]

فالحقد كالغضب في آفاته؛ بل ربما نشأ عن الغضب أحيانا، وهو في الأصل ليس من طباع المسلم صاحب الفطرة السليمة، وإنما لا يقع فيه إلا صاحب النفس المريضة، ولذلك فإن أكثر من اشتُهِروا بالحقد هم اليهود والمنافقون الذين كرسوا حياتهم؛ لتدبير المكائد لخلق الله وإيذائهم.

الثالث: بيان ذم الحسد:

رهَّب الإمام الغزالي رحمه الله من الحسد تحت هذا العنوان بكثير الشواهد القرآنية، والأخبار النبوية، وآثار السلف رحمهم الله، كما افتتح الكلام تحت العنوان المذكور ببيان منزلة الحسد من الحقد والغضب، مشيرًا إلى كثرة الفروع المذمومة، الناتجة عن الحسد، فقال الإمام رحمه الله:

---

(1) إحياء علوم الدين(3/ 281).

(2) الهادي والمهتدي، مرزوق الزهراوني، ص129، ط1، 1437هـ - 2015م.

(اعلم أن الحسد أيضاً من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب، فهو فرع فرعه، والغضب أصل أصله، ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى. وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة.)[1]

وقد تأكَّد تحققُ مهلكة الحسد في الشرع، مما يدل على خطورتها والترهيب منها، وضرورة تجنبها، والتحصن منها بالتسمية، ونسبة النعمة لواهبها Ψ.
ومن ينابيع التأكيد لتحقيق الحسد ما جاء في **"الكواكب الدراري"**:
(الإصابة بالعين حق، وأن لها تأثيراً في النفوس والطباع؛ إبطالاً لقول من يزعم من أصحاب الطبيعة أنه لاشيء إلا ما تدركه الحواس، وما عداها فلا حقيقة له.)[2]
فالحاصل: هو أن الحسد آفة مهلكة، تصيب سهامُها خلقَ الله؛ فتؤثر في طباعهم، وتؤذيهم في معاشهم، ويضطرب بها أمنهم، وتبلى بها مساكنهم. ولذلك رهَّب الإسلام من الحسد، وقدم العلاج بالتحصن بالأذكار وغيرها.
فمن خلال الأدلة النقلية والعقلية، والعناوين التي استخدمها الإمام الغزالي رحمه الله تحقق الترهيب من الغضب، والحقد، والحسد؛ كما استبان ارتباط الآفات الثلاث ببعضها، وكم أن الغضب رأس كل بلية. ولذلك حذر منه النبي ρ كثيراً.
الأمر الثاني: الفكر الدعوي عند الغزالي في الترهيب من الغضب والحقد والحسد:
أضاف الإمام الغزالي رحمه الله إلى الدعاة فكراً دعويًّا جديداً، وهو ضرورة أن يكون الداعي بارعاً في اختيار الأدلة التي لها الأثر البالغ في الترهيب من المهلكات، كما أن الداعي لا بد وأن يكون موضوعياً باختيار الجمل، أو العناوين، أو الألفاظ الجذابة القوية، التي تتناسب مع فكرة الترهيب من المهلكة، والتي يكون بصدد الحديث عنها...ظهر هذا الفكر من خلال الأدلة التي ذكرها الإمام رحمه الله في الترهيب من خطورة الغضب، والحقد، والحسد. ومن خلال ما قدمه الإمام رحمه الله من عناوين، وألفاظ، وجمل مناسبة للترهيب من الآفات الثلاث.

---

(1) إحياء علوم الدين (3/ 290).
(2) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني(ت:786هـ)، (21/ 23)، ط2، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، 1401هـ - 1981م.